الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الله تعالى:

مَا أَنْزَلْنَا عَلَيك الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2)

سورة طه

شرح الكلمات:

{مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ} يَا مُحَمَّد {لِتَشْقَى} لِتَتْعَب بِمَا فَعَلْت بَعْد نُزُوله مِنْ طُول قِيَامك بِصَلَاةِ اللَّيْل أَيْ خَفِّفْ عَنْ نَفْسك.

الشرح الاجمالي:

قوله تعالى: {مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} أي: ليس المقصود بالوحي، وإنزال القرآن عليك، وشرع الشريعة، لتشقى بذلك، ويكون في الشريعة تكليف يشق على المكلفين، وتعجز عنه قوى العاملين. وإنما الوحي والقرآن والشرع، شرعه الرحيم الرحمن، وجعله موصلا للسعادة والفلاح والفوز، وسهله غاية التسهيل، ويسر كل طرقه وأبوابه، وجعله غذاء للقلوب والأرواح، وراحة للأبدان، فتلقته الفطر السليمة والعقول المستقيمة بالقبول والإذعان، لعلمها بما احتوى عليه من الخير في الدنيا والآخرة.

و قوله: (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إلا تذكرة لمن يخشى), هذا واضح، الله ما أنزل القرآن ليشقى الرسول –صلى الله عليه وسلم– ويتعب، ولكن أنزله تذكرة، للتذكرة والعمل والاستفادة، فالله أنزل كتابه العظيم تذكرة للمؤمنين ولنبيه –صلى الله عليه وسلم– حتى يعملوا به ويستقيموا عليه، وفيه الراحة والطمأنينة وفيه السعادة العاجلة والآجلة.

وليس فيه شقاء، بل فيه الراحة والطمأنينة وفيه التقرب إلى الله والأنس بمناجاته وذكره –سبحانه وتعالى– فليس منزلاً ليشقى به النبي أو العبد لا، بل يستريح به وليتنعم به وليستفيد منه وليعمل به وليفوز بالجنة والسعادة بعمله به واستقامته عليه.

والشقاء: هو التعب والنصب والكد، فالحق سبحانه ينفي عن رسوله صلى الله عليه وسلم التعب بسبب إنزال القرآن عليه، إذن: فما المقابل؟ المقابل: أنزلنا عليك القرآن لتسعد، تسعد أولاً بأن اصطفاك لأن تكون أهلاً لنزول القرآن عليك، وتسعد بأن تحمل نفسك أولاً على منهج الله وفعل الخير كل الخير.

فإن من أهل العلم من فسره بغير ذلك، قال: {مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} إنه كقوله: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [سورة الكهف: (6)] قال: فهذا تسلية للنبي –صلى الله عليه وسلم– من أجل أن لا تذهب نفسه حسرات على المشركين؛ بسبب كفرهم وعنادهم وجحودهم ومكابرتهم وشدة عداوتهم، فهو يهون عليه من أجل أن لا يحزن ويضيق بسبب هذا التكذيب والإعراض {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ} [سورة الحجر: (97)] .

فالله يقول: {مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى}، فإذا قلنا: إن الروايات السابقة غير صحيحة فتفسيرها بهذا –والله أعلم– أقرب من تفسيرها بما سبق، ومن أهل العلم من قال بأن الآية تحمل على هذا وهذا، ولربما كان ذلك لاعتقاده أن بعض هذه الروايات يصح، مثل الشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله–، وهذا له وجه باعتبار أن الله –تبارك وتعالى– قال: {مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} وأطلق ولم يقيد، أي: ليحصل لك الشقاء، كيف يحصل هذا الشقاء؟

بأن يتحمل من العمل ما لا يطيق، وكذلك بأن يتحمل من الضغوط النفسية ومعنى ذلك أن هذا الدين وهذا المنهج ليس لشقاء الناس، ولا يسبب الحزن والبؤس والبعد عن متاع الحياة وملذاتها كما يتصور البعض، بل على العكس تماماً، فالإسلام دين السعادة الحقيقية فلا شقاء مع الاسلام رغم كل ما يواجهه المسلم في حياته. والشقاء يكون بالبعد عن شرع الله وترك طريقه (مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى).

فالسعادة كل السعادة في التمسك بدين الله, أما من أعرض عن هذا المنهج فتاتي آيات رهيبة في تصوير شقاوته في الدنيا و الآخرة (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) هذا في الدنيا, و في الآخرة 124 – 127 (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى – قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا – قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى – وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى).

أسباب الشقاء :

أولا: ضعف الأيمان والصلة بين العبد وربه. وضعف الإيمان بالله . جلَّ وعلا . وضعف التوكل عليه والثقة به، وضعف الصلة الروحية بين الإنسان وخالق الإنسان.

ثانيا: الوهم الكاذب المسيطر على الناس. ومن أسباب الشقاء أيضًا ذلك الوهم الكاذب المُسيطر على عقول الكثيرين وأرواحهم. يكون الواحد منهم سعيدًا مُكفيًّا في حاضره، فيأبى التمتع الطيب الطاهر المُطمئن بما هو فيه، بل يذهب مُفكرًا في المستقبل، والغيب شيء استأثر الله بعلمه

ثالثا: محاولة تطهير الدنيا من الشر نهائيا. ومن أسباب الشقاء أيضًا محاولة تطهير الدنيا من الشر نهائيًّا، مع أن ذلك غير مُمكن، وقد فطر الله هذا الكون على أن يطوي بين جوانبه خير الأخيار وشر الأشرار؛ ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

رابعا: الضيق السريع عند الأزمات الخفيفة.

خامسا: سرعة اليأس. وقد يتصل بهذه الناحية سرعة اليأس، وهذا أخطر داء يُصاب به الإنسان في الحياة؛ لأنه لا حياة مع اليأس، ولا يأس مع الحياة. والتنزيل المجيد يقول: (وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) (يوسف:87)

سادسا: عدم تذكر نعم الله عليه. ومن أسباب الشقاء عدم تذكر النعم الكثيرة بجوار المتاعب القليلة، ولو تذكر الإنسان هذه النعم حينذاك لهانت عليه تلك المتاعب، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولكن الإنسان ذو طمع

الفوائد:

1- إبطال نظرية أن التكاليف الشرعية شاقة ومرهقة للعبد.

2- ان هذا الاسلام كلف الله به البشرية حتى يستقيم امرها وتسعد في دنياها واخراها وان لا تشقى، الا ان النفس البشرية بطبعها لا ترغب في التكاليف والقيود التي تحدُّ من اهوائها وشهواتها ونزواتها، وان كان هذا التكليف لصالحها.

3- ان الشقاء بالنسبة للمسلمين لا يتعلق بغنى او فقر ولا بمرض او ابتلاء وانما الشقاء هو الخروج من دائرة امر الله ونهيه ، وانقطاع البين بين العبد وربه.

4- عجز أقوام عن تحصيل السعادة فأقنعوا أنفسهم أن لا حقيقة لها وأنها خيال يبتدعه الوهم،وأمثال هؤلاء عمو عن قول الله(طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى).

5- التمسك بالقرآن وعدم الإعراض عنه وهجره، ففي أول سورة طه قال الله تعالى: {مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ} [طه:2]، والشقاء عكس السعادة {فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ} وفي أواخر السورة قال: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ} [طه:124]، فكأن الله يريد أن يعلمنا أنه أنزل إلينا هذا القرآن لنسعد لا لنشقى، ثم إنه سبحانه وضح سبب الضنك والشقاء بالإعراض عن القرآن الكريم.

6- لو تمعنا في كل آية من آيات القرآن الكريم لوجدنا فيها خير وصلاح هذا الإنسان من كافة النواحي ((نفسية و عقلية و روحية وجسدية و فكرية و اجتماعية و علمية و خلقية و سواها من كافة الأمور

7- لو تمعنا لوجدنا في هذا القرآن أنواع النفس الإنسانية النفس المطمئنة و النفس اللوامة و النفس الأمارة بالسوء لوجدنا صفات المؤمن الحق و صفات الكافر و صفات المنافق و ما تخفي الصدور لوجدنا فيه صفات من تمسك بحبل الله المتين ...

7- القرآن غيثٌ كما وصفه النبي الكريم-عليه الصلاة والسلام-: (مَثَل ما بعثني الله به من الهدى والنور كمثل غيث..) رواه البخاري ومسلم.

8- القلوب التي استوطن فيها الحزن واستقر، وأصبحت بسببه مجدبة قاحلة، ففقدت معاني الحياة وبهجتها. وظهر أثر ذلك في وجوه أصحابها، ففيها حزنٌ لا تخطِئه العين. لن يعيد هذه القلوب للحياة إلا أن يهطل عليها كلام ربها، فهو أعلم بها، وهو القادر سبحانه أن يعيد إليها بهجة الحياة من جديد.

9- الربط بين قول الله تعالى لآدم -عليه السلام- محذراً له من أن يخرجه الشيطان من الجنة: (فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى)، وبين قوله تعالى: (مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) لنعلم أن القرآن جنَّة، وبإعراضنا عنه كمن يقرر أن يغادر هذه الجنة، فالمصير الذي ينتظره هو الشقاء، ولا غير الشقاء.

10- قلب النبي عليه الصلاة والسلام مُفْعَمٌ بالرحمة ، فحينما يرى البشر قد حادوا عن الطريق المستقيم تتفطَّر نفسه ، ويتفطَّر قلبه ألماً لِما سيحلُّ بهؤلاء الناس الغافلين من آلامٍ ومن عذابٍ في الدنيا والآخرة ..

11- السعادة بيد الله، وهو جلّ وعلا ميسر الأمور وشارح الصدور والمعين والهادي والموفق، بيده . جلّ وعلا . أزمةُ الأمور يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويعزّ ويذلّ، ويقبض ويبسط، ويهدي ويضل ويغني ويفقر، ويضحك ويبكي.

12- المسلم بما آتاه الله تبارك وتعالى من بصيرة بدينه ومعرفة بهدى ربّه جلّ وعلا يدرك أن سعادته بيد الله وأنه لن ينالها إلا برضا الله سبحانه وتعالى.

قال جلّ وعلا { فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} [طه : 123]، ونفي الضلال فيه إثبات الهداية ونفي الشقاء فيه إثبات السعادة. وقال تعالى: {طه ، مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى } [طه: 1 – 2]، أي بل أنزلناه عليك لتسعد.

13- أنزل كتابه العظيم تذكرة للمؤمنين ولنبيه صلى الله عليه وسلم حتى يعملوا به، ويستقيموا عليه وفيه الراحة والطمأنينة وفيه السعادة العاجلة والآجلة؛ وليس فيه الشقاء بل فيه الراحة والطمأنينة وفيه التقرب إلى الله والأنس بمناجاته. والله اعلم .....وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى





تهدى ولا تباع

ولا تنسونا من صالح دعائكم

أعدّها : عزمي ابراهيم عزيز